جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشئون الإجتماعية بالجيزة

مضامين الوطن والهوية في أعمال الفنانة منى حاطوم

د. فخرية اليحيائية
أستاذ مشارك ورئيس قسم التربية الفنية
جامعة السلطان قابوس- كلية التربية- سلطنة عمان

مضامين الوطن والهوية في أعمال الفنانة منى حاطوم

مقدمة:

إن قدرة الفنان التشكيلي في تسجيل الهموم وقضايا الواقع قضية محسومة. إذ أنه الشخص المتفرد في التقاط المثيرات من حوله التى لا تدركها الأجهزة الأخرى في معظم الناس العاديين، وذو قدره تعبيريه خاصة وحساسية خاصة تستطيع أن تحول هذه المثيرات بمرارتها وحلاوتها إلى لون من الأداء الجميل الذي يثير في النفس الانفعال، ويحرك فيها حاسة الجمال، التي قد نختلف أو تتفق مع معانيها، ولكنها مصاغه حسب إطاره المرجعى صياغة جمالية غير بعيده عن قيمه وتقاليده الحضارية.

ولأن التعبير عن المضامين الفلسفية هي من أولى أولويات الفنان رغبة منه في إيجاد منافذ للتعبير عن الخصوصية الثقافية الخاصة به، وهذه الرغبة تندرج نحو اهتماماته، وتقبله لثقافته، وعاداته المتواصلة من الماضي إلي الحاضر، والمستقبل، والذي من شأنه يحقق له توازنه. بل هي الوسيلة التي يهدف الإنسان من خلالها، بوعي أو بدونه إلى تحقيق توازنه النفسي بالتعبير عما في داخله من مدركات ومشاعر ومكبوتات وتمثلات. يأتي البحث الحالي ليركز على معاني الوطن والهوية التي ظهرت في أعمال الفنانة الفلسطينية منى حاطوم لما لتجربتها من مضامين أجادت الفنانة في التعبير فيها عن المعاناة بشكل في غاية الإبداع، من خلال قدرتها على إشراك المشاهد في المشاعر المتناقضة كالرغبة والخوف والخسارة التي تتجسد من خلال معظم أعمالها الفنية.

أهمية البحث:

- التعرف على مضامين الوطن والهوية في تجربة الفنانة منى حاطوم.
- دراسة عدد من تجارب الفنانة منى حاطوم لمعاني الوطن والهوية.

أسئلة البحث:

- لماذا اهتمت الفنانة منى حاطوم في تجربتها بمضامين الوطن والهوية؟
- كيف عبرت الفنانة منى حاطوم عن معاني الوطن والهوية ؟

أهداف البحث:

- إلقاء الضوء على تجربة الفنانة منى حاطوم.
- التعرف على المداخل التشكيلية التي استخدمتها الفنانة منى حاطوم لتقديم معاني الوطن والهوية.

منهجية البحث:

اتبع البحث المنهج الوصفي، والتحليلي في دراسة عدد من أعمال الفنانة منى حاطوم وتحليلها.

مصطلحات البحث:

الوطن

في اللغة: قال ابن منظور في لسان العرب، الوطن : المنزل تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحله، يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا، أي اتخذها محلاً ومسكناً يقيم فيه. وقال الزبيدي: الوطن منزل الإقامة من الإنسان، ومحله وجمعها أوطان.

في الاصطلاح : عرف الجرجاني الوطن في الاصطلاح بقوله: الوطن الأصلي هو مولد الرجل، والبلد الذي هو فيه. وعند الرجوع إلى كتب المعاجم، والموسوعات، وخاصة السياسية منها نجد أنها لا تختلف عن المعنى اللغوي، ففي المعجم الفلسفي يقول: الوطن بالمعنى العام منزل الإقامة، والوطن الأصلي هو المكان الذي ولد فيه الإنسان أو نشأ فيه.

أما التعريف الإجرائي للوطن: هو البلد الذي يشعر المرء بارتباطه به، وانتهائه إليه، رغم بعده أو عدم عيشه عليه.

الهوية:

في اللّغة مشتقّة من الضّمير هو. أمّا مصطلح "الهوَ هو" المركّب من تكرار كلمة هو، فقد تمّ وضعه كاسم معرّف بأل ومعناه ((الاتّحاد بالذّات)). ويشير مفهوم الهويّة إلى ما يكون به الشيء "هو هو"، أي من حيث تشخّصه وتحقّقه في ذاته، وتمييزه عن غيره؛ فهو وعاء الضّمير الجمعي لأيّ تكتّل بشريّ، ومحتوى لهذا الضمير في الوقت نفسه، بما يشمله من قيم وعاداتٍ ومقوّمات تكيّف وعي الجماعة وإرادتها في الوجود والحياة داخل نطاق الحفاظ على كيانها.

أما التعريف الإجرائي للهوية: هي كلّ ما يشكّل الشخصية من مشاعر وأحاسيس وقيم وآراء ومواقف وسلوك، بل وكل ما يميّزه عن غيره من النّاس. وهي السماتٍ التي تميّز الشخص عن غيره ، وهي جزء لا يتجزّأ من منشأ الفرد ومكان ولادته حتّى وإن لم يكن أصله من المنشأ نفسه.

منى حاطوم:

فنانة فلسطينية ألأصل ولدت عام (١٩٥٢) بيروت، وغادرت وطنها في السبعينات إلى لندن- مع اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية. تلقت الفنانة منى حاطوم تعليمها الرسميّ في الفن في مدارس لندن، في معهدي بيام شو، وسيلد للفنون الجميلة، وهي مازالت تعيش حياة متنقلة بين لندن وفرنسا وبرلين منذ تركت وطنها فلسطين. تأثرت الفنانة منى حاطوم بأوضاع الاغتراب، امتدت تجربتها من التصوير الفوتوغرافي إلى الفيديو، والأداء، والنحت، والأعمال التركيبية.

مضامين الوطن والهوية في تجربة الفنانة منى حاطوم:

تنتهى التذكر والإدراك التي يتشبث بها المشاهد، في محاولته لتحديد، أو حتى للسيطرة على ذلك الالتباس الفكري والحسي الذي أُغمس فيه".

ويأتي تركيزنا على تجربة الفنانة منى حاطوم لنعكس مدى قدرتها ورغبتها في نقل ارتباطها الوجداني بهويتها العربية رغم بعدها المكاني والمادي. وبتتبع أعمالها يثبت لنا أنها تأثرت بأوضاع الاغتراب والحرب، وكانت قادرة على التعبير عن قضايا الاحتلال والسلب رغم بعدها عن وطنها الأم فلسطين. فقد حاولت تجسيد الثوابت التي تنطوي عليها التجربة المؤلمة من المنفى كالاقتلاع، والتدمير "للبيت" أو الوطن، والتي تعتبرها من مشاعر الخسارة الناتجة عن المنفى وحالات التشرد التي يعيشها الفلسطينيون.

لذا تعتبر منى حاطوم واحدة من الفنانين الأكثر تمثيلا للمشهد الاجتماعي للأوضاع في فلسطين. والمتتبع لأعمال هذه الفنانة يجد أنها تحمل خصوصية عربية فلسطينية مرتبطة بالهويّة والسياسة والجنسيّة والذكورية. كما يمكن ملاحظة حالة اغترابها عن وطنها الذي لم تنساه على حد قولها، فأصبحت تجربتها تبحث فيما تتذكره وتراه حولها من عناصر للتعبير عن مشاعرها وهويتها من خلال الأشكال والرموز والعلامات. وتعتقد الفنانة: "أن الغزو ليس سلب الأرض فقط ولكنه استيطان وتأصل بسلب الهوية الحضارية، وتؤمن أنه من خلال فنها يمكنها تحقيق أمل الشعب الفلسطيني في الهوية".

كما تردد في معظم أعمالها نبرة ذات أصداء سياسية، إلى جانب اهتمامها بأشكال الإدراك وطرق العلاقة مع الجسد البشري، والخوض في موضوعات مثل الجسد والبيت والمنفى والهوية والسلطة والسيطرة والحياة والموت. أثارت أعمالها الكثير من الجدل والنقاش كاشفاة عن شبكة معقدة من التضمينات الأنثوية والسوسيوثقافية والوجودية. فالفنانة حاطوم تسعى دائما إلى تعقيد الأشياء أمام المشاهد بقولها:" أفضل الفنون هو الذي يعقّد الأشياء أمامك بعرضه تناقضات مستحيلة تجعلك تساءل افتراضاتك حول العالم بحيث تغادر حاملاً أسئلة أكثر من الأجوبة". (فرشته: ٢٠٠٣) وهذا ما أكده فلرات، وبردويل (٢٠١٤) بالقول أن "تشابك تاريخ منى حاطوم الشخصي مع الغرض الدلالي، وراء عملها. وحتى في أعمالها الأقل انطباعاً بالدلالات السياسية، تموضعت التفسيرات ضمن مفاهيم المنفى والهوية السياسية والحنين للوطن، وأعمالها هي إظهار للهوية بوصفها غير قادرة على التماثل مع ذاتها".

كما تصرح هامبتون (٢٠٠٧) بأن الفنانة منى حاطوم لا تتوقف عن مفاجأتنا بالكشف عن المتعة في الألم، والغريب في المألوف، والحضور في الغياب. وهي دائما تحاول أن تضع المشاهد في بيئة غير مريحة عادة. فتأتي أعمالها من منحوتات وأشكال تركيبية لتعبر عن أحاسيسها المتناقضة تجاه الوطن، لذا وصُفت أعمالها "بصوت المنفى الفلسطيني"، فخاطبت العالم بلغة واحدة، ودفعت الكثيرين للتفكير بأمور واقعية،

وتُذكّر بأن ثمة أمور خفية تكمن خلف مظاهر الأشياء. وفي مقابلة مع الفنانة حاطوم تذكر بورشيردت (٢٠١٠) أن الاعتداء والتغريب والمهجر والذاكرة لها تأثير في مسار حياة منى حاطوم، حيث صادف توقيت اندلاع الحرب الأهلية في لبنان عام١٩٧٥ تواجد الفنانة في زيارة قصيرة إلى لندن، الأمر الذي صعب الحالة على ابنة الثلاثة والعشرين عامًا آنذاك من العودة إلى عائلتها. مستشهداً برأى الفنانة حاطوم في هذا الصدد بقولها: "كانت هذه تجربة أليمة من ناحية، لكن من ناحية أخرى بدونها ما كنت أفعل اليوم ما أفعله..... وهو ما جعل رحلتها القصيرة إلى أوروبا الغربية تتحول إلى إقامةٍ استمرت خمسة وثلاثين عامًا، وأصبحت الأماكن العالمية التي تعرض فيها أعمالها الفنية منذ نحو عشرين عامًا موطنها الجديد".

من هنا كانت رموز الغربة سمة أساسية في أعمال هذه الفنانة، فبالرغم من بعد المسافة بينها وبين وطنها وعيشها في منفى دائم إلا أن الوطن المسيطر عليه والمحاصر لا يغيب عن أعمالها، تخلط بين ما هو سياسي وما هو ذاتي، وبين ما هو عام وما هو خاص. ولعل تجربتها التي عاشتها لها الأثر الكبير لتكوّن مثل هذه الأعمال. ويدلل على ذلك الصوابي (٢٠١٣) بقوله " أن الجسد الإنساني عند حاطوم هو الثيمة الرئيسية التي بواسطتها يكشف عن الهشاشة الإنسانية في علاقته بالفضاء والأشياء موضحاً إن حاطوم تمتلك تلك القدرة الخارقة على منح الجسد عبر الحضور أو الغياب الطابع المهَدَّدَ، فتتحول الأشياء الحميمية إلي فضاء خطر ومقلق وعدائي بل أنه يتحول إلى علامة مشحونة بإيحاء غامض لمفهوم السلطة بما هي تهديد مستمر للفرد الذي عليه إعادة التفكير في علاقته بالعالم . ويضع الصوابي (٢٠١٣) أعمال الفنانة الفلسطينية في مترادفات الوطن / المنفي، الذاكرة / النسيان، الجسد/ الروح ، الشخصي / اللاشخصي ، اليومي / المطلق، النهائي / اللانهائي، الهُنا / ألهُناك، ألحميمي/ العمومي، الذاتي / والجماعي، المادي / الميتافيزيقي، الحسي.

كما تؤكد المقدادي (٢٠٠٨) بأنه تعتري المتلقي لتجربة حاطوم حالة نفسية تؤدي إلى تغلغل وتوتر ناجم عن التجارب الانفعالية المتعارضة تصفه "بالرغبة والنفور، الأمن والخوف، الضمانة والتهديد، وهي بهذا تخلق «حالات من الكينونة» يكون فيها المشاهد مشتركاً ومواجهاً لتحديها. لذا، يتميز أسلوب حاطوم بالتبصر الذي ينقل في وقت واحد مشاعر الحالة السوية المدركة وما يحيط بها من خطر وشيك، الأمر الذي يجعل الحالة النفسية للمشاهد في تقلب متواصل. نتيجة لذلك تزداد حواس المشاهد توتراً، وتكون في حالة من عدم الاستقرار، في الوقت الذي ينجذب فيه إلى الحضور المادي للعمل.

وفي تساؤل أنتوني (١٩٩٨) عما إذا كان للهوية مكان أو معنى لفنانة مسيحة الديانة، فلسطينية الأصل، لبنانية المولد، بريطانية الجنسية، جاءت الإجابة على التساؤل من قبل الفنانة أنه "غالبا ما يتوقع الناس أوصافا دقيقة تحدد الآخر، كما لو كانت الهوية شيئا ثابتا بالإمكان تحديده بيسر، فتصبح منى حاطوم بمثابة تلك المدينة التي تحمل في طياتها العديد من الثقافات المختلفة وغير الثابتة، ذلك أن حاطوم كثيرا ما تتناول في أعمالها مسألة الثبات؛ لأن الضوء هو أكثر الأشياء تعبيرا على الحركة واللاثبات، وهي من

الأشياء التي تؤرق منى حاطوم، بل أن عدم الثبات على شيء هو ما يزعج أكثر، كأن يشير إليّ الناس على أنني لبنانية، وهو لس كذلك، إذ على الرغم من أنني وُلدت في لبنان فإن عائلتي فلسطينية شأنها شأن الغالبية العظمى من العائلات الفلسطينية التي أصبحت مغتربة في لبنان بعد سنة ١٩٤٨".

ويلخص الزعتري (٢٠٠٨) كل ما سبق عن ممارسات الفنانة منىّ حاطوم في أن محاولات الفنانة لاستخدام الأدوات العادية المحيطة بنا بشكل مفزع ومقلق- كأن تجعل من السرير مكاناً للتعذيب الجسدي والنفسي، ومن الأحذية أثقالاً، ومن الخزف قنابلَ يدوية، ومن الصفصاف سجناً- يجعلنا ندرك بأنّ ما نراه ليس إلا وطناً مثقوباً، وطناً مسجّى على سرير تفرّ منه أطراف عقد الحديد الحادة؛ مريض ومنهك ولا شكل له إلا باحتلاله، أو بأصحابه اللاجئين، أو بهويته المفقودة.

مضامين الوطن والغربة في أعمال الفنانة منى حاطوم

يصف إدوارد سعيد في كمال بلّاطة (٢٠٠١) أعمال منى حاطوم بـ "منطق الأضداد" التي تستند على ما يسميه بـ "ذاكرة التحدي"، ويضيف كمال بلّاطة على ذلك الوصف لأعمال حاطوم بأنها تعبر في الوقت نفسه عن أضداد تتراوح ما بين الهوية والمنفى، وما بين القمع والمقاومة وما بين الأسر والحرية.
يقول إدوارد سعيد (٢٠٠٠) في قراءته لأعمال حاطوم: "في عصر المهاجرين واللاجئين والمنفيين، وهروب المدنيين، عصر المذابح والمخيمات، ومنع التجوّل، وإبراز بطاقات الهوية، تعتبر أعمال حاطوم الفنية بصفتها الأدوات العرَضيّة غير القابلة للمصالحة في علاقتها بذاكرة التحدي، هذه الذاكرة التي تواجه الذات دون هوادة وبالعناد نفسه الذي تواجه فيه الآخر الذي يطاردها ويقمعها، ولئن اتسمت (هذه الأعمال) بالتغيير المستديم إلا أنها ترفض لنفسها التفريط بالماضي الذي تكمن عليه بحيث تبدو في ذلك وكأنها كارثة مغفلة يتواصل حدوثها دون توقف ودون تملّق أو تبجّج أو عصف خطابي".

وقبل البدء في تحليل مضامين الوطن والهوية في أعمال الفنانة منى حاطوم نؤكد أن عمليات التتبع لأعمالها أظهرت تنوعاً وثراء جمع بين النحت، والتصوير الفوتوغرافي، والتجهيزات الفراغية ومقاطع الفيديو، جميعها سلطت الضوء على روح المواجهة والعنف والقمع، وتشير إلى المقاومة والضعف. تتسم أعمالها كذلك بالتميز في طريقة تعاملها مع المواد التي تستعملها، فهي تختارها بدقة شديدة، إنها تريد أن تحمل المادة جزءا من مفهوم العمل الفني، لذلك فكل عمل من أعمالها يتطلب وقتا لاختيار المواد المناسبة من زجاج أو معدن، ووقتا للبحث عن أشخاص يستطيعون التعامل مع هذه المواد. إن أعمالها توصف بأنها ذات توجهات معاصرة من المنحوتات الحديدية الضخمة، إلى التنصيبات، حيث تتحول الأشياء الحميمة إلى أشياء خطرة ومقلقة، بل أنها تتحول إلى علامة مشحونة بإيحاء غامض لمفهوم السلطة بما هي تهديد مستمر للفرد الذي عليه إعادة التفكير في علاقته بالعالم.

نفذت الفنانة منى حاطوم أعمالها الأولى خارج قاعات المعارض، واهتمت بشكل كبير بالأداء البشري، فكان الجسد حاضرا بشكل كبير، كما أن أفكارها تُجبر المشاهد على إعادة التفكير بشبح عدم الراحة للمنفى، وهى لا تتوقف عن مفاجأتها في الكشف عن المتعة في الألم والغريب في المألوف والحضور في الغياب. يشير الصوابي (٢٠١٣) أنه حتى وإن تنوعت الأدوات التعبيرية التي تعكس حرية مطلقة في تملك الموضوع عبر فنون مبتكرة لدى حاطوم، ألا إنها تحافظ على مكان وحيد للتوتّر، وبؤرة واحدة هي "الجسد " الذي يختزل كل الوجود الإنساني. الجسد بما هو حضور فيزيائي كلي أو مجزأ، أو بما هو غياب يتخفى وراء ما ينوب مثل الصوت أو الأشياء التي تؤشر له وتقول غيابه، لذلك فهي تحاول في كل مرة استفزاز حواسنا وإدراكنا للعالم بما هو حقيقة بديهية ولكنها مع ذلك غير قابلة للإدراك السهل، كاشفة بذلك عن الغموض الذي يلفه ويغلفه ويجعله على هذا القدر من اللاتحديد والشك.

ازدادت جرأة الفنانة منى حاطوم خلال التسعينات عندما أنتجت أعمالاً من أجزاء مركزيّة من جسدها، كما في عملها المعنون بـ"**رحلة منظاريه**" **'Corps Etranger'** (١٩٩٤) في رحلة شكل (١) ويتلخص العمل في رحلة عبر بلعوم حاطوم من خلال شبكة كريستاليّه دقيقة ومنفوخة، وهي رحلة منظاريه استكشافية من خلال فتحات جسد الفنّانة. العمل عبارة عن تجهيز في الفراغ باستعمال تقنية الفيديو على شاشة فيديو دائريّة الشكل. قامت الفنانة بأخذ صور ومقاطع فيديو بتجاوز المظهر الخارجي للمرأة والخوض في التفاصيل الداخلية لذلك الجسد، والنفاذ من خلال المنظار إلى أعماقه بصور مقربة جدا؛ ليفقد ذلك الجسد جماليته المعتادة. فيواجه المشاهد أوّلاً صوت تنفّس في الخارج، ثم يواجهه شَعرا وأسنانا، وقزحيّات مضخّمة، ومن ثمّ يسمع صوت قلب نابض من خلال الدخول في الأنفاق النابضة للجسد الإنسانيّ. وعلى الرغم من المنظر الاستفزازي للمشاهد داخل بلعومها، لأن حاطوم سعت قاصدة إلى إزعاج المتفرج، وخضخضته بتلك الصور والفيديوهات المنفرة نسبيا بقولها "أريد أن يكون المعنى ضمنياً، أي بمعنى أنني أريده داخل المادة التي استخدمها، فأنا أختار المادة بوصفها امتداداً للفكرة، أو تضادً معها في بعض الأحيان؛ لأوجد حالة متناقضة من الانجذاب والنفور، الإبهار والاشمئزاز". (أنتوني :١٩٩٨) ويعتمد هذا العمل أيضا على ثنائية الانجذاب والنفور، إنه الانجذاب نحو ذلك الجسد الذي اعتدنا أن نراه جميلا، والنفور منه من خلال الشاكلة التي قدمته عليه الفنانة. فجسد حاطوم المقدم في العمل يتماهى لنا ليخلق لدينا إحساسا بالفزع والنفور منه، إنه ذلك الجسد تضيع التفاصيل فيه، ويفقد أدنى مقومات الجسد ليصبح تلك الكتل المجردة، كجسد حاطوم المجرد من الانتماء، إنها عبثية الجغرافيا وإملاءات التاريخ.

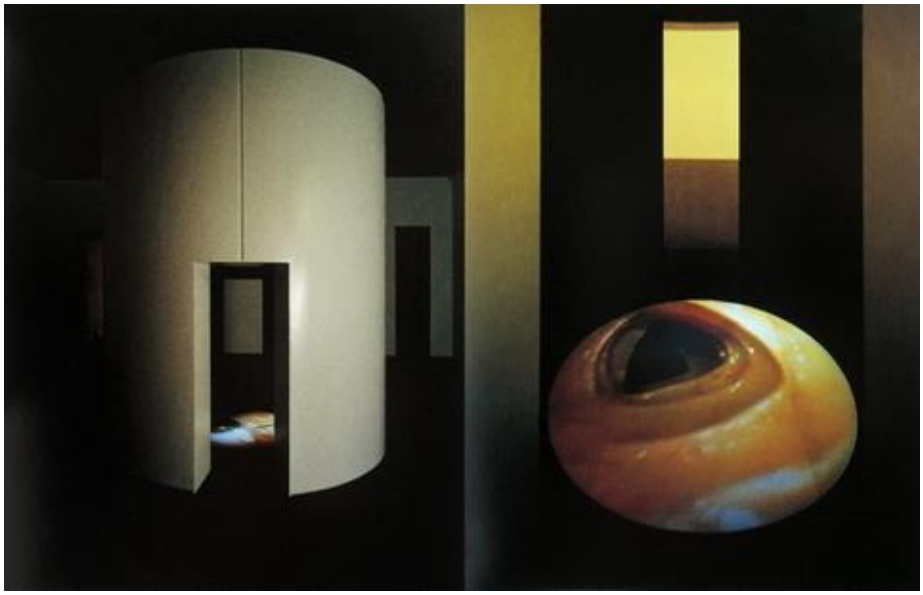

شكل (١) رحلة منظارية (١٩٩٤) اسطوانة خشبية، جهاز عرض فيديو، مكبر صوت، سماعات | ٣٥٠ × ٣٠٠ سم

تحاول الفنانة حاطوم في أعمالها أن تحرّف الوظيفة المألوفة للشيء داخل فضاء المعرض وموقعه، ويمكن ملاحظة هذه الاستراتيجية بوضوح في عملها الإنشائي بعنوان "مصباح" (٢٠٠٦)، شكل (٢) وهو عبارة من مصباح نحاسي معلق في فضاء الغرفة ويدور دوراناً متواصلاً، وقد حفرت فوقه أشكالا تمثل جنوداً ونجمات ثمانية الرؤوس. بمجرد الدخول إلى المكان، تنجذب عين المشاهد إلى ضياء خافت وساحر في الغرفة المعتمة، فالمصباح الدائري يلقى على جدران الغرفة وسقفها بظلال الجنود وهم يلوحون ببنادقهم، يطارد بعضهم البعض الآخر في دوران مستمر يغمر المشاهد بحركته المشوّشة من مبدأ تحريف الوظيفة المألوفة للشيء. وتذكر المقدادي (٢٠٠٨) أنه للوهلة الأولى يثير هذا العمل الإنشائي شعوراً بطفولة سعيدة فيها تذكير بمصابيح رمضان الشعبية، غير أن مجموعة جنود تجتاح النظر على نحو باتر، في استعارة ترمز إلى البراءة المفقودة، والطفولة التي يعترض طريقها العنف والصراع. وبغض النظر عن المكان الذي يقف فيه المشاهد، يصبح جسمه المحور المركزي لهذه الحركة السماوية التي توقظ في الذاكرة صفاء الرقص الصوفي أو المندالي، وهو صفاء غيّبته الظلال المتعددة للجنود الذين يرمز دورانهم المتواصل إلى عبثية الحرب.

شكل (٢) مصباح - ٢٠٠٦ - مصباح نحاسي، سلسلة معدنية، مصباح كهربائي، متحرك كهربائي دوّار | ٦٠ × ٣٥ × ٣١ سم

وبنفس الاستراتيجية في تحريف الوظيفة المألوفة تُظهر حاطوم في عملها "طبيعة صامتة قنابل رمان" (٢٠٠٨) شكل (٣) الالتحام البارع بين المادة والمضمون. "فعند النظرة الأولى، تبدو القطع هنا كقطع من الخزف لأوان صغيرة وقد صيغت هذه الأشكال الملونة في قوالب يدوية على شكل رمانة، بأنماط مختلفة، كالأشياء المتعارف على كونها رمانة، مثل الكرة، والبيضة، والليمونة والأناناس، وهي شبيهة بتشكيلة منتقاة من الحلوى المغرية، وبالتمحيص القريب فقط يدرك المشاهد الشبه المرئي القوي بين قطع الحلوى وهذه والرمانة اليدوية، وهي إذ تتخفى في هيئة شيء رقيق تزييني، فإن الرمان يقلب التداعيات المرتبطة بالحرب والموت. ويمثل العنوان الذي اختارته حاطوم لهذا العمل تحويراً ذكيّاً". (المقدادي:٢٠٠٨)

شكل (٣) طبيعة صامتة | ٢٠٠٨ | خزف، خشب | ٨٣,٥ × ٢٠٠ × ١٠٠ سم

وفي عملها شكل(٤) بعنوان "الحديقة المعلقة"(٢٠٠٨) الذي يتكون من ٧٧٠ كيسا من الخيش الصغيرة الحجم، مكدسة فوق بعضها البعض، ويبلغ طولها ١٠ أمتار ممتلئة بالبذور، يظهر للمشاهد أن بعض النباتات الخضراء تنمو من تلك الأكياس بشكل متواصل خلال فترة المعرض. الأكياس مرتبة بطريقة متوازنة شبه مستطيلة، تشبه الحاجز العسكري الذي يستعمل في الحرب للوقاية من رصاص العدو. "الحديقة المعلقة" تمثل تذكير شعري بالمآسي الشخصية والجماعية والانزياح والمنفى، عملها الإنشائي هذا يشير في آن واحد إلى الحياة والموت، ويوقظ لدى المشاهدين الذين شهدوا عشرات الحروب، إحساساً بالخطر الوشيك، وبانعدام القوة وسرعة التأثر. تحاول حاطوم هنا زرع الأمل فينتشر اللون الأخضر رغم بشاعة اللون الطيني، وكومة الأكياس. فهناك رمز لانتصار الحياة على قسوة الموت، هي هنا تحاول زرع الحياة أينما يوجد الموت، تلك النبتات بنموها المتواصل خلال فترة المعرض دلالة على استمرارية الحياة عند حاطوم، حيث تنمو النباتات على مهل لتخترق نسيج الخيش بلونها الأخضر كرمز للحياة والإثمار، وكدلالة على الطابع المزدوج والثنائي (الحرب والموت) وعظمة الحياة وقدرتها على التجدد، والتفاؤل في مواجهة الموت والدمار من خلال تلك الإشارة إلى "الحدائق المعلقة" باعتبارها رمزاً للحياة التي تبزغ خلف متاريس الموت، فسينبت عشب طري داخل أكياس حاطوم، وهي هنا تقيم علاقة مبتكرة بين الوسائل التعبيرية الحديثة والهاجس العميق الذي يعبر عن الهويّة الخصوصية والسياسية والطابع الإنساني. فالخيش بمادته القاسية يتناقض مع العشب الناعم الذي يرمز إلى الإصرار على الحياة وتغافل الطبيعة عن السواتر المنشأة. بذلك كله تقدم إصرارها الشديد على إظهار قضية الانتماء والبين اللذين يعاني منها الفلسطيني المغترب في ظل وجود شبه وطن يفتقد لأدنى مقومات الوطن. وعندما نتوقف أمام هذا العمل، سندرك بأنّ ما نراه ليس إلا وطناً منهك باحتلاله وبأصحابه اللاجئين وبهويته المفقودة يحاول النهوض على الرغم من صعوبة الموقف.

شكل (٤) الحديقة المعلقة - أكياس خيش، تراب، عشب | مقاسات مختلفة

(AmeSea Database – ae –July. 2016- 0176)

أما عملها الموسوم **" ما بعد انتحار إرهابي"** شكل (٥) والذي يظهر للوهلة الأولى بأنه إعادة توظيف لأشياء نستخدمها في حياتنا اليومية، فهو عبارة عن سرير بدون فراش يعرض قضية الإرهاب.

الفنانة صورت فيه مشهد ما بعد انتحار إرهابي عن طريق سرير بدون فراش بشكل يجعل من المستحيل استخدامه وكتلة ذابلة ومشوّهة من مطاط وخيوط يجعل منظر السرير الذي اعتاد الناس على استخدامه للراحة والاسترخاء والهدوء يتحول إلى شيء عدواني، وهي هنا تشارك المتلقي غضبها تجاه الإرهاب من خلال تمثيلها بأشياء مألوفة لدى الناس، لكنها لم تعد كما كانت فتجعلهم يطرحون الأسئلة للبحث عن الأجوبة ثم يضعون فرضياتهم.

شكل (٥) ما بعد انتحار إرهابي- سرير حديدي وخامات مختلفة

مشهد داخلي- (Interior Landscape) في شكل (٦) يظهر كعمل إنشائي أبدعته الفنانة في غرفة يتوسطها سرير حديدي حُوِّلت أسلاكه إلى شبكة من أسلاك شائكة، فقد لجأت الفنانة لتصوير الصراع في كل ملامح غرفة النوم التي تعكس التناقض بين أحلام وطموحات الفرد الفلسطيني، وبين واقع قاس عليه أن يواجهه، ربما من أجل تصوير شعور كل لاجئ فلسطيني يعيش مغتربا عن وطنه بعيدا عن معنى الأمان والراحة والاطمئنان. وعلى حد قول الفنانة في مقابلة مع أنتوني (٢٠٠٨) حول هذا العمل إنها ترغب "أن تورّط المشاهد في الوضع الظاهري، حيث تكون التجربة أكثر فيزيائية ومباشرة، وتشغله بالجانب البصري من العمل بطريقة مادية وحسية، وربما عاطفية أيضاً". يظهر في "مشهد داخلي" السرير وقد تحول من رمز الراحة والاسترخاء إلى مادة كابوسية يعكس شعور اللاجئين بعدم الراحة والأمان. وبتناقض صارخ لقاعدة السرير ذات الأسلاك الشائكة - الذي يشعر بالألم العظيم لكل شخص يستلقي عليه- وضعت "منى حاطوم" مخدة ناعمة خاطت فوقها خريطة فلسطين التاريخية، ونثرت عليها خيوطاً من شعر رأسها. و تعدّ خيوط الشعر التي تتساقط عادة من الرأس على المخدة والفراش شيئا منفراً وغير نظيف، وهي عادة تكنس بروح مشمئزة. ومع ذلك فالشعرات هنا تلتحم بخريطة فلسطين كما لو كانت تستجيب لحلم ملحّ. وبه تحولت غرف النوم التي نقرنها عادة بالراحة والسكينة، إلى فضاء متنافر مليء بالتوتر واللايقين. وبهذه الطريقة فإن هذا العمل من وجهة نظر برتولا (٢٠٠٩) يصلح أن يكون استعارة لحال وجود اللاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون صراعا متواصلا في كل يوم من أيام الغربة المليئة بأنواع الخوف والقلق وعدم الراحة. ومن هنا يتراءى للأذهان مدى معاناة الشعب الفلسطيني الذي لا يعرف للراحة والاستقرار طعما، فيصل هذا الشعور إلى كل مشاهد ومتدبر في العمل.

شكل (٦) مشهد داخلي – ١٩٨٨- سرير معدني، وسادة، خريطة،علاقة، شعر بشري، كرسي | المقاسات مختلفة

كما يناقش عمل الفنانة منى حاطوم الموسوم بـ **"كل باب جدار" (Every door a wall) شكل (٧)** قضية التهجير، ومحاولات الهروب التي يعاني منها الكثير من اللاجئين، ويمارسها الكثير من الأسرى. فيظهر العمل في هيئة ستارة شفافة مطبوع عليها مقال من جريدة أجنبية مكتوب بحبر نافث أسود اللون، وفي وسطها صورة لأشخاص عدة في وضعية الجلوس، لا يظهر منهم إلا رؤوسهم وظهورهم. جاء العمل بشكل قطرات صغيرة جدا لتظهر تلك النقاط السائلة شكل الجريدة التي تحمل خبر إلقاء القبض على عمال غير شرعيين تم تهريبهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية عبر حدود المكسيك، حيث تم إخفائهم لساعات طويلة داخل شاحنات خانقة، واكتشافهم من قبل شرطة الحدود عبر تقنيات الأشعة السينية التي تحول شكل الإنسان إلى خطوط أو ظلال، وقامت بإلقاء القبض عليهم.

هذا العمل يشبه إلى حد كبير رواية الكاتب غسان كنفاني "رجال تحت الشمس"، والتي يحكي فيها قصة الموت المأساوي لثلاثة رجال فلسطينيين تم إبعادهم عن وطنهم دون أن يملكوا أية وثائق سفر رسمية، وحاولوا اجتياز حدود العراق للوصول إلى الكويت بحثا عن العمل، وعندما تجاوزت الشاحنة الحدود، مات الرجال اختناقا من شدة الحرارة، ولم تسمع صرخاتهم اليائسة المستغيثة. الرواية تعكس المعوقات السياسية والاجتماعية التي يلاقيها الفلسطينيون في نضالهم من أجل نيل الحرية. وعلى الرغم من بعد الشقة بين العالمين فإن المكسيكيين والفلسطينيين يواجهون الموت في سعيهم للحصول على احتياجاتهم الأساسية من أجل البقاء على قيد الحياة.

تعبر الفنانة في هذا العمل عن كثير من المعاناة التي يعيشها عدد غير قليل من البشر في هذا العالم، وهي وإن تناولت في الظاهر واقعة معينة لمهاجرين مكسيكيين، إلا أن المتأمل في هذا العمل يجده يحمل معاناة البشر في شتى نواحي الحياة الإنسانية.

شكل (٧) كل باب جدار - حبر على قماش- Cm 35x 200

مضامين الوطن حاضرة ومتكررة في أعمال حاطوم، فلها الكثير من الأعمال التي استخدمت الكرة الأرضية والخريطة وغيرها من الرموز التي تدلل على الوطن، وهي هنا تؤكد رغبتها ورغبة الملايين في وضع فلسطين كدولة محتلة في مكانها على خارطة العالم. وعلى سبيل المثال لا الحصر نتناول عملها الموسوم بـ " الانجراف القاري " " Continental Drift" في شكل (٨) الذي يظهر استفادة الفنانة من المولدات الكهربائية للمساندة في تأكيد فكرة دوران الكرة الأرضية كحقيقة علمية. العمل عبارة عن أسطوانة رسم عليها خريطة العالم، سمكها ٣٣ سم، وقطرها ٢٣٤ سم، مكونة من محرك كهربائي بلور، ومادة غير قابلة للصدأ والحديد. قامت الفنانة بتحريك تلك الدائرة حول محورها من خلال استعمال المحرك الكهربائي.
ومن خلال هذا العمل تعود حاطوم لتناول مفهوم اللاثبات من خلال تحريك تلك الخريطة التي تجسد العالم. فالعالم هو ذلك المزيج من الثقافات والحضارات التي تتحرك في كل اتجاه، ذلك أن الحركة حتى في معناها المادي وليس الثقافي والحضاري فقط هي من سمة هذا الكون والأرض، هي جزء من هذا الكون الديناميكي المتحرك. حاطوم ومن خلال هذا العمل تحاول البحث عن مكان وشرعية لحركتها ووجودها وسط هذه الأسطوانة المتحركة، والتي تحمل في طياتها خريطة هذا العالم. وفي رحلة قامت بها حاطوم إلى منطقة lake day Sabbath التي تقطنها المجموعات الأخيرة من مجتمعات شيكر، وبخصوص هذه الرحلة تقول حاطوم: " كان إحساساً أشبه بالجو العائلي يحوم في مجتمع "شيكر" الذين أحيوا فيّ احتياجات منسية، لقد احتضنونا كما لو كنا أهلهم، وأعتقد أنه موقف جريء، لأنه من غير المعلوم كيف يتصرف الفنانون. كان هناك شعور جميل بالاستقرار، والحياة المنزلية الدافئة على النقيض تماماً من حياتي الترحالية ". (أنتوني: ١٩٩٨)

(AmeSea Database – ae –July. 2016- 0176)

شكل (٨) الانجراف القاري (٢٠٠٠) فولاذ وزجاج وبرادة الحديد، ومحركات كهربائية، ٣٣x٤٢٠ سم

وفي المدينة المتفجرة Pom Pom City شكل (٩) جاء العمل عبارة عن سجادةٌ مترامية الأطراف منسوجةٌ من الحبال الكهربائية الشبيهة بمجساتٍ نباتيةٍ تنتهي بمصابيح ضوئيةٍ، كابلات وفوانيس كهربائية متداخلة فيما بينها، ومبعثرة في كل الاتجاهات بشكل عشوائي، تترامى بتناغم وإيقاع هادئ، وتومض بوهنٍ. من شكل العمل وعنوانه يمكننا أن نتحدث عن ذلك العالم المختلف في أدق تفاصيله من فرد إلى آخر العالم الذي تنتفي فيه الهوية الفردية لتصبح تلك الهوية المتحركة والمتنوعة فلا مكان للهوية الواحدة بل تلك الهوية الفسيفساء. بيد أنَّ هذا المشهد التأملي مخادع، لأن فكرة السجاد عالميًا يرمز إلى التوطن، إلا أن فكرة المدينة المتفجرة، والمتأهبة للتفجير، يعرض وضع الأرض الفلسطينية في انعدام الأمان فيها كونها أصبحت مدينة موقوتة.

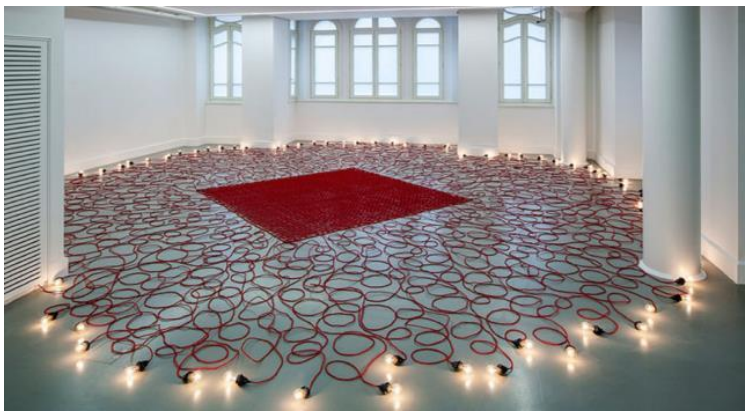

شكل (٩) المدينة المتفجرة (٢٠٠٢) كابلات كهربائية ومصابيح الكهربائية

وكان الجسد الفلسطيني بما يحمله من هموم ملاذا لها في التعبير عن أشكال العنف، فأدواته، وكل ما يمكن التفكير فيه كمكان لأنواع الأذى، قدمته في قوالب بصرية مختلفة، فكانت الفنانة حريصة دائما على إيجاد مشاركة وجدانية بين العمل والمتلقي، بحيث يشعر المشاهد في أعمالها بانفعالات التعب النفسي الذي

(AmeSea Database – ae –July. 2016- 0176)

يعيشه الفلسطيني؛ من خلال إظهار ما يتعرض له الأسير من أشكال الضرب. وقد كان مجال التصوير الفوتوغرافي أهم التقنيات التي اعتمدت عليها في تسجيل عدد من الإحاسيس كالعنف والظلم والأرهاب، بشكل محمل بالمضامين السياسية غير المباشرة. وتأكيداً لحالات الأسر قدمت الفنانة عملا بعنوان "المشهد المستمر" " "Performance Still شكل (١٠)

هو عبارة عن صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود والألمنيوم، ابعادها ١٠٨x٧٦,٥سم، والصورة عبارة عن مشهد لرجل حافي القدمين، وصورت ساقيه وقد ربطتا بخيوط الحذاء نفسه. تحاول الفنانة من خلال هذا العمل تجسيد الإنسان وذاته، تلك الذات الفطرية التي تعاني الصراع مع الذات المكتسبة. فالحذاء بشكل من الأشكال يرمز للذات المكتسبة، والساقين هما الذات الفطرية. فالذات الفطرية تحاول كبح جماح الذات المكتسبة، وأن تحول بين الإنسان المعاصر واندفاعه نحو ما يتضارب مع إنسانيته وفطرته. فالساقين هما اللتان يحدد بهما الإنسان مصيره ووجهته، إنهما رمز الطريق والمسلك الذي سيسلكه الإنسان، إنها حالة من الصراع الذي تعيشه ذاتية منى حاطوم بين الفتاة التي ترعرعت في مزارع شبعا، وتلك المرأة التي تتحسس الطريق وسط الضباب الذي يلفها من كل جانب في عاصمة يكسوها الضباب أينما ولّت وجهها.

شكل (١٠) المشهد المستمر (١٩٩٥) صورة فوتوغرافية- 108x 76.5 cm

وفي عملها التركيبي "نقطة ساخنة" " "Hot Spot شكل (١١) الذي هو عبارة عن كرة أرضية كبيرة الحجم ارتفاعها ٢٣٤ سم وقطرها ٢١٧ سم وقد لفّت حولها أسلاك كهربائية مشتعلة، هو في الوقت نفسه ذلك القفص الذي يحيط بنا من كل جانب. فالفنانة حاطوم تحملنا من خلال هذا العمل في رحلة بين قارات العالم الخمس، العالم الذي تطغى الصراعات بين جميع أطرافه، تبرز حاطوم ذلك الصراع من خلال وجود اللون الأحمر، والتيار الكهربائي اللذان ينذران بالخطر، كما تتخذ الكرة الأرضية شكل القفص، وفي ذلك إحالة إلى أن الإنسان أصبح بمثابة ذلك الكائن السجين بين مشارق الأرض ومغاربها، وهي من تسيطر عليه

(AmeSea Database – ae –July. 2016- 0176)

وتستوعبه وليس العكس. "هوت سبوت (نقطة ساخنة)" (٢٠٠٦) هو عمل مرحِّب ومهدِّد في الوقت ذاته – كما يراه المحللون - تدعونا قريبا خطوط إنارة النيون الحمراء الرفيعة التي تحدد أطراف القارّات حتّى ندرك الحرارة المركّزة لخطر يقترب" (هامبتون: ٢٠٠٧). وقد أصبح هذا العالم ومن خلال رمزية الكرة الأرضية يطغى عليه اللون الأحمر الذي فيه إحالة للدماء، ولتقول لنا حاطوم أن لا شيء اليوم أسهل استباحة من دماء البشر في جميع أصقاع العالم. كما يمكننا الإشارة أيضا إلى أن الضوء هو رمز الحركة والسرعة واللاثبات، وهذا الأخير من المفاهيم التي كانت ولا تزال حاطوم تشتغل عليها بسبب معانتها لمسألة اللاثبات في حياتها منذ نعومة مأساتها في مخيمات اللاجئين في لبنان. تقدم حاطوم في "نقطة ساخنة" تجربه ممتعة جماليّا من حيث الشكل، والتوظيف، لكنها كانت خطيرة من حيث الفكرة، لأنها تقدم تهديد بخطر محتمل.

شكل (١١) نقطة ساخنة (٢٠٠٦) فولاذ وانارة النيون-234 x 217 cm

عملها الموسوم ب"مكعب" (Cube) 2006 شكل (١٢) جاء على شكل مكعب حديدي ذو أبعاد كبيرة ١٩٩,٥x٣١٥x٢٠١,٥ سم ، صنع من قضبان، واشتمل على كرسيين بداخله. في القضبان وشكل المكعب إحالة مباشرة على السجن وسلب الحرية، فالفنانة ومن خلال الاستناد للشيء ونقيضه، ومن خلال وجود القضبان والمكعب من جهة، والكرسي من جهة أخرى تريد أن تضعنا في حالة من الضيق والفزع والإحساس بالتناقض في ظل وجود أشياء قد نكون ألفناها في حياتنا اليومية في منازلنا، إلى جانب أشياء لم نألفها بالمرة، إنها حالة من اللاثبات واللانتماء". عملها يظهر الهوية بوصفها غير قادرة على التماثل مع ذاتها كما يراها بردويل و فلرات (٢٠١٤) " . فمنى حاطوم ومن خلال استعمالها لهذه الأدوات التي

عهدناها في بيوتنا تحاول أن تثور وتنتفض على تلك المنظومة الاجتماعية التي تجعل من الأنثى رهينة وحبيسة تلك المعتقدات من وجهة نظر أليكس (٢٠٠٨) الذي يرى "من المؤكد أن في الكثير من أعمال منى حاطوم ثمة مساحات للبيت ترتبط بتربية الأنثى وراحتها- المطبخ وغرفة النوم وغرفة الأطفال- مشحونة بالخطر والتشويه، وهو ما يولّد بالنتيجة إحساسا بجو عائلي يقف ضد نفسه، تنافر يبعث على التأمل بالوظائف التقليدية للأشياء المعروضة والمواد المستخدمة وطريقة تنفيذ العمل".

في هذا العمل حاولت أن تحول القفص بمعناه التقليدي للحبس، ليصبح شكلا جميلا، في نظام مرتبّ مطمئن للرائي، تحوله إلى أداة تحكّم باردة، وفي الوقت ذاته وحشيّة؛ لأن هذا القفص الحديديّ ليس له مخارج مع أنه بارتفاع ١٧٤ سم، وحجمه هذا كاف ليتسّع إنسانا.

شكل (١٢) مكعب (٢٠٠٢) –فولاذ طري وخشب مصبوغ -.(201.5 x 315 x 199.5 cm)

عملها "حركة السير Traffic" (٢٠٠٢) شكل (١٣) يظهر في شكل حقيبتين موضوعتين على الأرض، معلقتين بكتلة سميكة من شعر إنسان، في هذا العمل تتجسد كتلة مكثفة من المعاني، ومن الممكن مشاهدته على أنه مجاز يرمز إلى أولئك الذين يسافرون حاملين معهم حقائبهم (عاطفية أو ثقافية أو حرفية) متنقلين من ثقافة إلى أخرى، والفنانة هنا تذكرنا في الوقت نفسه، بأنه ما من شيء يرتبط بحياتنا من دون أن يشتبك بأجسامنا وعواطفنا وإحساسنا بأنفسنا. ويبدو أن موضوع العمل يشير إلى تداعيات حركة سير الإنسان؛ فربما تسرب الشعر من خارج جسم لا تحتويه هاتين الحقيبتين احتواء كاملا. والتقابل ما بين المراكز الهامة المضطربة للجسم، والتقشف الجامد للشيء يوقظ الرعشة الفرويدية أزاء الخارق". أليكس (٢٠٠٨)
إنها تلك الحقيبة التي يبرز منها الشعر ليلتحم مع حقيبة ثانية من خلال خصلاته، وقد تصبح ذلك الرأس الذي يحمل بين طياته الإنسان الذي يعبر عن ثقافته، وهويته التي من خلالها يجد ذاته ويحققها وسط ازدحام الثقافات، ووسط هذا العالم المتغير الذي تغلب عليه الحركة المستمرة.

إنها بمثابة رحلة بحث عن الذات التائهة، ذات لا علم لها إلا بصراعاتها مع ماض يغلب عليه التضبيب ومستقبل تغلب عليه العتمة " إذا كان الفنان من منطقة يشكل الحرب خلفية لها، فيُتَوقع غالباً أن العمل لا بدّ أن يعبّر عن هذا الصراع بشكل ما، أو يُمثل صوت الشعب هذا منوال طويل، وأنا في أغلب الأحوال أجدني راغبة بتقديم ما يناقض تلك التوقعات".(أنتوني:٢٠٠٨)

لذلك نجد أن منى حاطوم حتى وإن تطرقت لمسألة الوطن فهي تتناوله بشكل فكري وفني متميز، لكن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة من خلال هذا العمل هو: لما اشتمل العمل على حقيبتين؟

لعلّ حاطوم تريد أن تضعنا في مقابلة بين ذلك الشخص الذي يعيش في وطن واضح المعالم، وذاك الشخص الذي يعاني حالة من التيه في الانتماء، فتقول الناقدة الفنية والصحفية أوليفيا هامبتون (٢٠٠٧) في مقال يحمل عنوان (منى حاطوم تتحدى إدراكنا العقلي والجسدي) "منفى أو وطن؟ مسيطر عليه أم سيطرة ؟ أسير أم حر؟ هذه الأمور غير المؤكّدة، والمتناقضة هي فن منى حاطوم، لا تتوقف الفنانة المتمركزة بين لندن وبرلين عن مفاجأتنا بكشفها عن المتعة في الألم، والغريب في المألوف، والحضور في الغياب". فحاطوم من خلال عملها الزحمة تحملنا في رحلة حيث يغيب المكان ليفسح المجال أمام اللامكان، ويغيب الزمان ليفسح المجال للزمن المطلق، إنها رحلة نحو حدود اللامعقول بين دفتي حقيبتين يربط بينهما خصلة شعر رمز المرأة والانتماء، إنها رحلة من الثبات إلى اللاثبات ".

شكل (١٣) حركة السير (٢٠٠٢)- حقيبة معدنية، بلاستيك وشعر
20 1/2 x 31 7/8 x 31 1/2 in. (52 x 81 x 80 cm)

أما عملها التركيبي والذي يحمل عنوان " التقسيم الرائع" Grater Divide"" شكل (١٤) فقد حولت فيه مبشرة جبن ثلاثية الأجزاء من الطراز الفيكتوري إلى حجم يضاهي حجم الإنسان. فالثقوب المسننة المتوعدة للمبشرة تشبها حاطوم بجهاز الكاميرا الذي يلاحق المشاهد في كل تحركاته، وقد انتشرت في الأماكن

(AmeSea Database – ae –July. 2016- 0176)

العامة. بهذا الشكل تصبح تصاميم المبشرة الدقيقة والصارمة سجناً عقلياً وجسمياً للمشاهد، وليس ثمة نقطة مركزية للنفاذ، فنسقها المتتابع يهيمن على الجسم والعقل. يشتمل العمل على عنصر واحد، وهو ذلك العنصر الذي نتخفى وراءه حين نقوم بخلع الملابس، إلا أن منى حاطوم تقوم خلال هذا التجهيز في الفراغ بإحداث ثقوب من خلاله ليصبح هذا العنصر دون جدوى، إذ تتكشف الأجسام التي تتخفى خلفه. تسعى الفنانة للتطرق إلى مسألة الجسد في علاقته بهذا العنصر الذي يفترض أن يحميه من العيون التي تسترق النظرات إليه فإذا به ذلك العنصر الذي يساعد الآخر للنظر إليه، إنه الشيء ونقيضه. تقول حاطوم في مقابلة أجرتها النجار رنا (٢٠١٤) في هذا السياق " أريد أن أخلق حالة يكون فيها الواقع - في حَدّ ذاته- نقطة تساؤل حيث يتوجَّب على المشاهد أن يعيد النظر في افتراضاته، وفي علاقته بما يحيط به. وهذا نوع من امتحان لفحص الذات والبنى السلطوية التي تسيطر علينا، أريد للعمل أن يكون له حضور شكلي قوي، وأن يُوجد - من خلال التجربة الفيزيائية- تجاوباً نفسياً وعقلياً، وأن يقدِّم حالة من الغموض واللامبالاة... بالنسبة لي أفضل الفنون هو الذي يعقّد الأشياء أمامك، بعرضه تناقضات مستحيلة تجعلك تساءل افتراضاتك حول العالم حيث تغادر حاملاً أسئلة أكثر من الأجوبة". إن الفنانة من خلال هذا التجهيز في الفراغ تحاول الوقوف في وجه تلك السلطة التي تجعل من جسد المرأة كتلة يستمتع بالنظر إليها، فحاطوم هنا تستوقفنا لنقوم بإعادة النظر في تلك النظرة من خلال استعمال عناصر من ذلك المحيط الذي نعيش فيه وحياتنا اليومية". مؤخرا، غادر فن حاطوم إلى تخوم جديدة في الوقت الذي يحافظ فيه على النسوية والوعي السياسي، وبدلا من إقامة عروض يحضر فيها الجسد حضورا ماديا، يميل العمل إلى تقديم أشياء ذات علاقة بالأشياء المنزلية، مثل الأثاث وأدوات المطبخ، وهي الأعمال التي لا يظهر فيها الإنسان، وإنما يحضر ضمنا، غالبا ما تحتوي هذه المفردات أقفاصا وحواجز تعزلها عن المشاهد، كما لو كانت داخل زنزانة". (أليكس :٢٠٠٨)

شكل (١٤) التقسيم الرائع (٢٠٠٢)، فولاذ طري، (80 5/16 x 1 3/8 in. (204 x 3.5 cm

(AmeSea Database – ae –July. 2016- 0176)

خاتمة:

يمكن القول أن تجربة الفنانة الفلسطينية منى حاطوم من التجارب المميزة في التعبير عن مضامين الوطن والغربة والهوية، والتي استطاعت أن توجد لها متلقين مميزين يستمتعون بفكرها، ويجدون فيها قوة سياسية فريدة في الطرح. الجدير بالذكر أن تجربة الفنانة حاطوم مازالت بحاجة إلى دراسة مستفيضة من قبل النقاد والباحثين في هذا المجال؛ لتقصى معان كثيرة ودلالات غير تلك التي تلمستها الباحثة في هذا البحث.

المراجع:

أنتوني ، جانين (٢٠٠٨). مقابلة مع الفنانة منى حاطوم، مؤسسة خالد شومان، دارة الفنون، عمان. نشرت المقابلة أولاً في مجلة بومب، نيويورك، العدد ٦٣، ربيع ١٩٩٨، ص. ٥٤-٦١.

أليكس، أوهلين (٢٠٠٨). في البيت وبعيداً عنه: سريالية منى حاطوم الغريبة. مؤسسة خالد شومان، دارة الفنون، عمان، أكتوبر ، ص ٤٥. نشرت المقالة أولاً في Mona Hatoum: Undercurrents (منى حاطوم: تيارات خفية)، كتاب بينالي دونا فيرارا الثامن، ٢٠٠٨.

بلّاطة، كمال، وآخرون(٢٠٠١). صور ذاتية: فن نساء فلسطينيات، دار أندلس للنشر، تل أبيب، ص ٢٤.

بورشيردت، غزينِه (٢٠١٠) أعمال الفنانة منى حاطوم : كوابيس سياسية في قوالب فنية، مركز DW الإعلامي، شؤون ثقافية، ترجمة: يوسف حجازي .

الزعتري، أحمد (٢٠٠٨). منى حاطوم: الهويّة المؤجّلة، ادب وفنون، العدد ٦٥١ ، الأربعاء ١٥ أكتوبر.

سعيد، إدوارد (٢٠٠٠). منى حاطوم: العالم بأكمله كأرض غريبة. منشورات تيت غاليري. لندن.

الصوابي، نبيل (٢٠١٣). مني حاطوم : منفي الجسد وذاكرة المكان وأشياء الغياب، الصحافة اليوم. يمكن الحصول علية الالكترونيا من الرابط: http://www.nabilsaouabi.com/index.php/textes/recherches-universitaires/35-2013-09-14-19-34-59

فرشته، دفتري (٢٠٠٤). هنا هو مكان آخر: مقابلة مع منى حاطوم، نيويورك: متحف الفن الحديث، ٧ نوفمبر، ٢٠٠٣- ٤ فبراير، ٢٠٠٤.

فلرات، وتيل ، وبردويل، سام (٢٠١٤). دليل معرض منى حاطوم: اضطراب، منشورات سِلفانا، شركة مساهمة محدودة. متحف: المتحف العربي للفن الحديث ومتاحف قطر، الدوحة، قطر. ترجمة ففيان حمزة وسناء اليونسي.

كيارا، برتولا(٢٠٠٩). منى حاطوم: أشكال مزعزعة وحيّة وعضوية ومتحركة ؛ منى حاطوم: مشهد داخلي. ميلانو: شارتا، ص. ٢١.

مقدادي، سلوى(٢٠٠٨). حالات الكينونة في أعمال منى حاطوم. عمان: مؤسسة خالد شومان، دارة الفنون، أكتوبر ٢٠٠٨، ص. ٥٩- ٧٣.

النجار، رنا (٢٠١٤). منى حاطوم: لا حدود بين الشخصي والعام، مجلة الدوحة، العدد ٧٨ إبريل.

هامبتون، أوليفيا (٢٠٠٧). تخطي الحدود: مني حاطوم تتحدى ادراكنا العقلي والجسدي، مشروع معهد العلاقات الخارجية بالتعاون مع يونيفرسز إن يونيفرس – عوالم الفن، يمكن الحصول علية الالكترونيا من الرابط: http://universes-in-universe.org/ara/nafas/articles/2007/mona_hatoum

هايدغر، مارتن (١٩٩٥). مفاهيم الميتافيزيقا الأساسية: العالم، الزوال، العزلة. منشورات جامعة إنديانا، إنديانا، ص. ١٩.

ملخص
يستعرض هذا البحث تجربة الفنانة منى حاطوم التي تعتبر واحدة من الفنانين الأكثر تمثيلا للمشهد الاجتماعي للأوضاع في فلسطين بتركيزها على مضامين الوطن والهوية. لذلك يجد المتتبع لأعمال هذه الفنانة أنها تحمل خصوصية عربية فلسطينية مرتبطة بالهويّة والسياسة والجنسيّة، كما يمكن ملاحظة حالة اغترابها عن وطنها الذي لم تنساه رغم بعدها عنه.

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في عرض وتحليل عدد من أعمال الفنانة المرتبطة بمضامين الوطن والهوية. ومن خلال التحليل البصري لهذه الأعمال اتضح أنها اعتمدت في عمليات أنتاجها على معظم وسائل الفن المعاصر المطورة من المنحوتات الحديدية الضخمة، والتنصيبات، وفن الفيديو وأداء الجسد؛ بهدف استنزاف طاقاته وقدراته المخبئة.

كما أظهرت عمليات التقصي في الكثير من أعمالها ارتباطها بالوطن وجدانياً رغم بعدها عنه أو عدم عيشها فيه، تجسدت في مفردات الهوية المعبرة عن المكان والأحداث والانتماء بصورة مباشرة أو غير مباشرة ترسيخا لقيم الحنين للوطن، فأصبحت تجربتها تبحث فيما تتذكره وتراه حولها من عناصر للتعبير عن مشاعرها وهويتها بالأشكال والرموز والعلامات.

وخلص البحث إلى أن مفردات الوطن هي مرادفة تماماً لمفردات الهوية، فكانت تجربة الفنانة منى حاطوم من التجارب الحقيقية الجديرة بالبحث والدراسة بشكل أكثر تعمقا ومن أبعاد مختلفة.

The contexts of homeland and identity in the artworks of Mona Hatoum

Fakhriya Al-Yahyai
Associate professor & Head of Art Education Department
Sultan Qaboos University- college of Education- Oman
fakhriya@squ.edu.om

Abstract:

This research aims to present and exam the experience of Mona Hatoum which is considered as one of the most representative artist of the social situation in Palestine; focusing on the contexts of the homeland and identity. The follower of Mona Hatoum artworks finds that her works carry out the identity and individuality of Palestinian which are linked to politics and citizenship. It can also note the case of alienation from her homeland which is never been forgotten even when she far from it.

The researcher used the descriptive analytical method to exam and analyze a number of artist artworks which related to the contexts of the homeland and identity. Through the visual analysis of her artworks it show that the artist used most developed techniques of contemporary art in the processes of her art production including metal sculptures, installation art, video art and body performances with aiming to express the hidden energy and power of herself.

The investigation process in her artworks show deep emotional involvement and engagements with her homeland even she is far from it. The icons and symbols of identity were seen in the expression process of place, events and affiliations whether direct or indirect way with aim of establishing homesick values. Her experience becomes a model of investigating the artist's memory or what she could observed around her in order to express artist's feeling and identity using shapes, symbols and signs.

This research concluded that the homeland themes are synonymous with themes of identity and the experience of Mona Hatoum is a real experience and worth to be investigated deeply form other different dimensions.